

هل سيحصل أي إصلاح سياسي في عهد ولي العهد السعودي الشاب؟



د. عبد الحميد فجر سلوم

اهتمامٌ كبيرٌ رافق حديث ولي العهد السعودي، يوم 27 نيسان 2021 ، بمناسبة مرور خمس سنوات على رؤيته 2030 ، للنهوض ببلاده..

طموحاتٌ كبيرةٌ جدا، نتمنى أن تتحقق، ونتمنى للسعودية ما نتمناهُ لأي بلدٍ عربيٍّ شقيقٍ من تقدم وازدهار، شرط أن ينعكس ذلك على حياة شعوبهم، وليس فقط على جيوب وحسابات المسؤولين، لزيادة رفاهيتهم وبذخهم وترفعهم..

تمحور حديث ولي العهد حول الجوانب الاقتصادية والسياسية والدينية..

هناك من اهتمُّوا بالجانب الاقتصادي في حديثه، كما الصين ودولٌ أخرى.. وهناك من اهتمُّوا بالجانب السياسي، كما إيران وأطرافٌ ودولٌ أخرى.. وهناك من اهتمُّوا بالجانب الديني كما الأزهر وسواه..

في الجانب السياسي لم أرى أي ذكرٍ لقضية فلسطين.. ولا لأي مشروع سياسي إصلاحي.. كان هناك غزلٌ نحو إيران، ونحو الحوثيين، بعد ست سنوات من الحرب المدمِّرة.. لا أدري إن كان هذا اعترافٌ بفشل أهداف الحرب..

**

من خرجوا على الشاشات الخليجية، والمُموّلة خليجيا، حينما فوجئ العالم بـ (عاصفة الحزم) في أواخر آذار 2015 يُشيدون ويدعمون بقوة قرار الحرب، وأنها ستعيدُ الهيئة لدول الخليج، وتُرهب من يقترب منها ويتعدّى على سيادتها ويُشكّل خطرا عليها، هُم أنفسهم من خرجوا ليؤيدوا السلام ووقف الحرب، بعد أن أدركوا الفشل ودون أن يتحقّق مثقال ذرّة من توقعاتهم.. بل على العكس، إن كانت هناك بقية من هيئة، فقد ذهبت، وتمكنت فئة من الحوثيين يصفونهم بـ (الميليشيا) من إرهابهم وتخويفهم، وحبس أنفاسهم لدى كل صاروخ يُطلق على الأراضي السعودية الواسعة جدا.. فكيفَ لو أُطلقت الصواريخ نحو الأراضي الإماراتية الضيقة..

أبو ظبي أو دبي لا تحتل كلٍّ منهما صاروخ، فترتعبُ الناس.. وخاصّة إن أصاب محطة توليد كهرباء، أو محطة تحلية مياه..

هذا رغم أنني أتألم كما أي عربي مما حصل ويحصلُ في اليمن وانتهاك ما تمّ الاتفاق عليه، واشتعال الحرب بين أبناء البلد الواحد، والتدخل الخارجي.. ولستُ الآن بصدد تفنيد من هو المُتسبّب..

**

نتعلمُ السياسة بِحرق الأوطان والشعوب، ثم نصحو وندعو للسلام والوئام والمحبة..

نُشكّل التنظيمات الدينية ونحشو عقولها بالفكر المتطرف، ونُدربها ونموِّلها ونسلِّحها، ونرسلها

للجهاد ضد الكفار والمشركين، وبعد أن يرتدَّ خطرنا، نصفها بالإرهاب ونحاربها..

**

في الجانب الديني لم يأتِ ولي العهد بجديد، وإنما كل ما أشار لهُ سبقهُ إليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، والذي أثار انقسامات كبيرة داخل العالم الإسلامي، فهناك من اعتبروها أفكارا متطرفة وغير صحيحة، وهناك من اعتبروها أفكارا تنويرية وتجديدية..

فهو دعا إلى عدم زيارة القبور، أو التبرُّكُ بها، وإلى تدمير الأضرحة والشواهد المبنية عليها، وعدم التضرُّعِ □ عبر الأولياء والأنبياء، وأنَّ من يتوسل □ حتى بالنبي مُحَمَّدٍ فقد كفرَ.. ويجب التوجُّهُ □ مباشرة، وأن كتابة التميمة وما شابهها هي خُرَافات، وأن النذُرُ يجب أن يكون □ فقط وليس لأحدٍ سواه.. ورفض تقديس الأشخاص.. الخ..

وكانَ أول من خالفهُ أخيه الشيخ سليمان الذي سألهُ (حسب المراجع): كم أركان الإسلام يا محمد؟. فقال: خمسة.. فقالَ أخيه: أنت جعلتها ستة.. السادس: من لم يتبعكَ فليس بِمسلم، هذا عندك ركنٌ سادسٌ للإسلام..

وأما الشاعر السوري أدونيس فكان من بين من اعتبروا الشيخ محمد بن عبد الوهاب (مُفكِّرا وإماما نهضويا كبيرا) وذلك في الكتاب الذي أصدرهُ (بالاشتراك مع زوجته الأديبة المعروفة) وذلك ضمن سلسلتهِ المُسمَّاة (ديوان النهضة) وخصَّصَ فيه جزءا عن (الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب)..

**

أكَّد ولي العهد السعودي أن القرآن الكريم هو دستور المملكة، ولا يُؤخَذُ إلا بالأحاديث المتواترة عن الرسول (ص) جماعيا وليس أحاديا أو إفراديا.. وهذا ليس بفكرٍ جديد، طُرِحَ من طرف هيئات إسلامية وشيوخ مسلمين كثيرون..

القرآن الكريم مُعتَبَرًا دستورًا للمملكة منذ قيام الدعوة الوهابية في بلاد نجد، واتفاق محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود على أن يُؤمِّنَ الثاني بدعوة الأول السلفية، وأن يُؤمِّنَ الأول بزعامتهِ الثاني على البلاد..

وهكذا تأسست الدولة السعودية الأولى إلى أن حاصرتها في عام 1818 القوات العثمانية بقيادة ابراهيم باشا، ودمرتها..

إلا أن التحالف الوهابي السعودي أسس الدولة السعودية الثانية ولكنها سقطت بسبب الصراعات والحروب الداخلية عام 1891 ..

ثم قامت الدولة السعودية الثالثة أوائل القرن العشرين واستمر التحالف السعودي - الوهابي..

إذا في كل تلك المراحل كان الدستور هو القرآن الكريم.. ولكن لو تأملنا بالقرآن ومعانيه، وحتى بعقيدة الإسلام عموماً، فهل هناك ما يسمح بحياة الرفاهية والبذخ والترف وحياة القصور الفاخرة والباذخة والجواري،

وشراء اليخوت الخاصة والطائرات الخاصة، بمليارات الدولارات بينما مئات ملايين المسلمين عبر العالم يتضورون جوعاً..

وهل هناك ما يسمح باحتكار السلطنة وحصرها بأسرة واحدة تتوارثها أبا عن جد، وهل هناك توريثٌ للحكم بالإسلام؟ هل الرسول (ص) ورثَ أحداً من أهله؟.

وهل من الخلفاء الراشدين من كانت تغمضُ عيناهُ وأحدٌ من رعيتهِ جائعاً أو مظلوماً؟.

**

يُروى عن الإمام عليٍّ (رضي الله عنه) قوله: لو كان الفقير رجلاً لَقَاتَلْتَهُ..

ويُروى عن رسول كِسرى الذي جاء إلى المدينة لمقابلة خليفة المسلمين عمر بن الخطاب، فسألَ عن قصره، فدَلَّوهُ على بيته، فرأى ما هو أدنى من بيوت الفقراء، ووجدهُ نائماً بملابس بسيطة تحت ظلِّ شجرةٍ قريبةٍ، فقالَ مقولتهُ الشهيرة: حكمتَ فعَدَلتَ فأَمِنْتَ فَنِمْتَ يا عُمَرُ..

**

ليس المطلوب من ولي العهد أن يسير على خُطى فولتير ولا جان جاك روسو، وإنما فقط أن يُحقِّق بعض الإصلاح السياسي في بلاده، ويُطَلِّق الحريات العامة، وتخلو السجون من معتقلي الرأي، ولا تتمُّ ملاحقة الليبراليين والليبراليات السعوديات والتضييق عليهنّ، ولا يُلاحَقُ المنتقِدون حتى خارج البلاد ويُحاسَبون شر حساب.. وفسحُ المجال أمام المُشاركة العامة في الحُكم، ولا يقتصر على أسرة واحدة.. دستور القرآن لا يسمح بذلك..